175 - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

- 176 - ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون .

- 177 - ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون .

هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء (ذكره عبد الرزاق عن عبد ا بن مسعود أهل من رجلا كان : كعب وقال (الراهب بن صيفي) هو : عباس ابن عن قتادة وقال (Bه البلقاء وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين وعن ابن عباس Bه : هو رجل من أهل اليمن يقال له (بلعم) آتاه ا آياته فتركها وقال مالك بن دينار : كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي ا موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى ا فأقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام . وقال سفيان بن عيينة عن ابن عباس : هو بلعم بن باعوراء وقال ثقيف : هو أمية بن الصلت وقال عبد ا بن عمرو في قوله : { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا } الآية قال : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت وقد روي من غير وجه عنه وهو صحيح إليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه . فإنه أدرك زمان رسول ا صلى ا عليه وسلّم وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة قبحه ا . وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فإن له أشعارا ربانية وحكما وفصاحة ولكنه لم يشرح ا صدره للإسلام .

والمشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة : إنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف وكان يعلم اسم ا الأكبر وكان مجاب الدعوة ولا يسأل ا شيئا إلا أعطاه إياه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : لما نزل موسى بهم يعني الجبارين ومن معه أتاه - يعني بلعم - بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع ا أن يرد عنا موسى ومن معه قال : إني دعوت ا أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه

ا ما كان عليه فذلك قوله تعالى : { فانسلخ منها فأتبعه الشيطان } الآية . وقال السدي : لما انقضت الأربعون سنة التي قال ا : { فإنها محرمة عليهم أربعين سنة } بعث (يوشع ابن نون) نبيا فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن ا أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق إلى رجل من بني إسرائيل يقال له : (بلعام) فكان عالما يعلم الاسم الأعظم المكتوم فكفر - لعنه ا - وأتى الجبارين وقال لهم : لا ترهبوا بني إسرائيل فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وقوله تعالى : { فأتبعه الشيطان } أي استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه ولهذا قال : { فكان من الغاوين } أي من الهالكين الحائرين البائرين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث (حذيفة بن اليمان) Bه قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء ا انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك " قال : قلت يا نبي ا أيها أولى بالشرك المرمي أو الرامي ؟ قال : " بل الرامي " (أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي قال ابن كثير : إسناده جيد) .

وقوله تعالى : { ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه } يقول تعالى : { ولو شئنا لرفعناه بها } أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها { ولكنه أخلد إلى الأرض } أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من غير أولي البصائر والنهى .

قال محمد بن إسحاق بن يسار عن سالم عن أبي النضر : أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه فقالوا له هذا (موسى بن عمران) في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وإنا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع ا عليهم قال : ويلكم نبي ا معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليه وأنا أعلم من ا ما أعلم ؟ قالوا له : ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفقونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل - وهو جبل حسبان - فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى إذا أزلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى إذا أزلقها أذن لها فكلمته حجة عليه فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ؟ تذهب إلى نبي ا والمؤمنين لتدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها فخلى ا سبيلها حين فعل بها ذلك فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسبان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف ا لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف ا لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال : فهذا ما لا أملك . هذا شيء قد غلب ا عليه قال

: واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسولهن إلى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين برجل من عظماء بني إسرائيل وهو (زمري بن شلوم) رأس سبط شمعون بن يعقوب فلما رآها أعجبته فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال : إني سأظنك ستقول : هذا حرام عليك لا تقربها قال : أجل هي حرام عليك قال : فوا لا أطيعك في هذا فدخل بها قبته فوقع عليها وأرسل ا D الطاعون في بني إسرائيل وكان (فنحاص) صاحب أمر موسى غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون يجوس فيهم فأخبر الخبر فأخذ حربته ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفا والمقلل لهم يقول عشرون ألفا في ساعة من النهار ففي بلعام بن باعوراء أنزل ا : { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - إلى قوله - لعلهم يتفكرون } . (رواه محمد بن إسحاق عن سالم أبي النضر وأخرجه ابن جرير بمثله وفيه أن الزنى وقع من عدد من الجند الذين كانوا مع موسى عليه السلام فسلط ا عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا } . وقوله تعالى : { فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث } اختلف المفسرون في معناه فعلى سياق ابن إسحاق عن سالم أبي النضر أن بلعاما اندلع لسانه على صدره فتشبيهه بالكلب في لهثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر وقيل : معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء .

كالكلب في لهيثه في حالتيه إن حملت عليه وإن تركته هو يلهث في الحالين فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه كما قال تعالى : { سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون } { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم } . وقيل : معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بهذا (نقل نحو هذا عن الحسن البصري وغيره) وقوله تعالى : { فاقصص القصص لعلهم يتفكرون } يقول تعالى لنبيه محمد صلى ا عليه وسلّم : { فاقصص القصص لعلهم } أي لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في إضلال ا إياه وإبعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة ا عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الإيمان أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان كليم ا موسى بن عمران عليه السلام ولهذا قال : { لعلهم يتفكرون } أي فيحذروا أن يكونوا مثله فإن ا قد أعطاهم

علما وميزهم على من عداهم من الأعراب وجعل بأيديهم صفة محمد صلى ا عليه وسلّم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته وموازرته كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد أحل ا به ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة وقوله : { ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا } يقول تعالى : ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ساء مثلهم أن شبهوا بالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار شبيها بالكلب وبئس المثل مثله ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " ليس منا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه " (هو في الصحيحين من حديث ابن عباس) .

قوله : { وأنفسهم كانوا يظلمون } أي ما ظلمهم ا ولكن هم ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن اتباع الهدى وطاعة المولى إلى الركون إلى دار البلى والاقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى